الحداثة ومفهوم السكن غير المألوف للموروث الثقافي

أ . سلطانة علي سعد عمر ـ كلية الفنون والتصميم ـ جامعة طرابلس

Modernity and the concept of unfamiliar housing of cultural heritage

Research Summary:

We are surrounded by an aura of developments that have pervaded many things around us, such as cars, communications, computers, and more. But the most important thing and the most important deal we enter into in our lives are our homes, which have remained as they have for years. Our homes are groaning from social, cultural, economic, and other afflictions. Our homes lack the elements of harmony with their surroundings. They are exposed to the outside world, exposed to the sun, and lose their identity... meaning that our homes It has become disconnected from its surrounding environment. Its pain has been groaning for years, or since modern urban development began. Our homes need to be examined by scientists of various specialties, architects, and engineers, but on a blank slate. Our homes are almost copies of a single model that has not changed for years. Architecture is the mother of all arts. It is the first art created by humans to encompass all of their living activities. It is a mirror of society in its entirety.

His civilization, customs, traditions and values. The architect is a creative artist, sensitive and expresses his inner thoughts and ideas in the form of an architectural or urban product. In his creativity, the architect accomplishes an artistic work with visual, aesthetic and functional relationships that interact with the surrounding urban environment.

The architect is aware of the needs of society, the potential of the place and the surrounding environment, and the means and tools that enable the needs to be met and the goals to be achieved within the constraints and limitations of the place and resources. The architect is able to deal with problems in a scientific and organized manner based on specific foundations and rules.

الملخـــــــص:

إننـا محـاطون بهالـة مـن التطـورات عمـت أشـياء كثيـرة حولنـا كالسـيارات والاتصـالات والحاسـبات الآليـة إلـى غيـر ذلـك. ولكـن أهـم شـيء وأهـم صـفقة نـدخل فيهـا فـي حياتنـا وهـي مسـاكننا التـي لاتـزال كمـا هـي منـذ سـنين. إن مسـاكننا تـأن مـن الآلام الاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصـادية وغيرهـا. مسـاكننا تفتقـر إلـى مقومـات التوافـق والمحـيط حولهـا .انكشـاف للخـارج وانكشـاف للشـمس وفقـدان للهويـة...بمعنى أن مسـاكننا أصـبحت منفصـلة عـن البيئـة حولهـا. وأوجاعهـا تـأن منهـا منـذ سـنين أو منـذ بـدأت التنميـات العمرانيـة الحديثـة. إن مسـاكننا تحتـاج أن ينظـر إليهـا مـن قبـل العلمـاء بمختلـف تخصصـاتهم والمعمـاريون والمهندسـون ولكن علـى صـفحة بيضـاء. فتكـاد مسـاكننا تكـون نسـخ لنمـوذج واحـد لـم يتغيـر منـذ سنين.

العمـارة هـي أم الفنـون وهـي أول فـن أبدعـه الإنسـان ليغلـف كـل أنشـطته المعيشـية وهـي مـرآة للمجتمـع بكـل حضـارته وعاداتـه وتقاليـده وقيمـه، فالمعمـاري فنـان مبـدع، مرهـف الحـس يعبـر عمـا بداخلـه مـن أفكـار وخـواطر فـي صـورة نتـاج معمـاري أو عمرانـي، والمعمـاري فـي إبداعـه ينجـز عمـلاً فنيـاً ذو علاقات بصرية وجمالية ووظيفية تتفاعل مع البيئة العمرانية المحيطة.

المقدمة:

بعد أن كان تصميم المسكن التقليدي والذي يعد من التراث المعماري والذي لا يناسب استخدامه في الوقت الحاضر وذلك لإخضاعه لتقيم حالي وتأثير البيئة عليه فعادة يخضع تقيم العمارة لعدة مقاييس وتقديرات، فالمسكن التقليدي (ذو الفناء المفتوح) الذي كان ملائماً للعيش في الماضي، أصبح اليوم غير ذلك.

ولتوسع التداخل الحضاري والمعرفي بين المجتمعات الشرقية والغربية، من خلال السفر بين الدول والاطلاع على ما تنقله وسائل الاعلام المتطورة من شبكة المعلومات العالمية (الانترنيت) والقنوات الفضائية التي أسهمت بشكل فعّال ومهم في نقل أساليب المعيشة وتصاميم المساكن والألوان المستخدمة، وحتى مواد الانشاء إلى المواطن الشرقي، فصار مفهوم المسكن التقليدي من الناحية الجمالية والفنية (التصميم) عرضه لما تمخض عنه هذا الاطلاع على المنجز المماثل (المسكن الغربي)، وقد عد بعضهم أن مواصفات المسكن الغربي لا تنسجم ومتطلبات الذوق والاستعمال المعتاد في العوائل الشرقية لأجزاء المسكن، فالمسكن المصمم على النمط والمتطلبات الاوربية لا ينسجم

مع متطلبات الساكن في البلدان الشرقية.

وبمقابل هذا الرفض لعمليات التحديث التصميمي للمسكن المحلي، نجد ان موجة التحديث بدأت تنتشر على أساس رغبة الإنسان في التحديث والتجدد والتي هي نزعة طبيعية في النفس البشرية ، فالإنسان دائماً ينزع إلى الاختبار بين الأشياء المعروضة ، ويقدم واحدة على الأخرى ، حسب ما يراه هو أيهما تحقق له أهدافه ، فالإنسان حسب ما قال عنه تالكوت بارسونز في كتابه بنية العقل الاجتماعي (يقوم بالاختبار أو المفاضلة بين أهداف مختلفة ووسائل تحقيق تلك الأهداف) .

مشكلة البحث:

المعماري واعي باحتياجات المجتمع وإمكانات المكان والبيئة المحيطة والوسائل والأدوات التي تمكن من استيفاء الاحتياجات وتحقيق الأهداف في ظل ضوابط ومحددات المكان والموارد، والمعماري قادر على التعامل مع المشاكل بصورة علمية ومنظمة على أسس وقواعد محددة. وبناء عليه يمكن وضع مشكلة البحث ي التساؤلات التالية :

1 - لماذا إهمال الموروث الثقافي ؟

2 - لماذا التوسيع السريع للاستهلاك الغربي و النمط المتمدن ، وإهمال العناصر البيئة المحلية؟

3 - ما سبب فقدان الهوية المحلية .

4 – ما عدم استغلال الإمكانيات التقليدية بأسلوب مستحدث التي تتيح لنا الفرصة للاستفادة منها في إحياء الموروث بصورة مناسبة للعصر ؟

أهداف البحث:

ـ تحويل احتياجات المجتمع إلى علاقات وظيفية لتتحول فيما بينها لفراغات مدروسة تعكس في النهاية صورة لمبنى متميز له فكر ووظيفة ناجحة.

ـــ التحفيز على تحليل ودراسة الموروث الثقافي الليبي ومن ثم إبرازه على شكل تكوينات معمارية وتصاميم داخلية مبدعة ومعاصرة تجمع بين الشخصية المحلية والانتفاعية المعاصرة.

أهمية البحث:

تسعى الدراسة من خلالها للربط بين الموروث الثقافي الليبي الأصيل ومتطلبات الحياة المعاصرة ومواكبة تطور التكنولوجيا و مدى

امكانيـــة تكيفهـــا مـــع البيئـــة والاعتبـــارات التصـــميمية ، إذ أنـــه مطلـــب وطني ينبغي التأكيد عليه.
كـــذلك أهميـــة المحافظـــة علـــى الهويـــة المحليـــة للعمـــارة الداخليـــة و دمجهـــا مع متغيرات العصر الحديث .

التصميم الداخلي بين الأصالة والمعاصرة:

يعتبـر المصـمم حلقـة الوصـل بـين المجتمـع وأفـراده عاكسـا ظـروف عصـره وفلسـفته مؤكـدا علـى الأبعـاد الثقافيـة مـن عـادات وتقاليـد وأنمـاط معيشـية وأفكـار قد تكون حديثة أو قديمة.

وعند الحديث عن التراث في التصميم الداخلي فإن المعنى ينصرف إلى الميراث أو الموروث الشعبي الذي تلقاه الخلف عن السلف، وهذا الموروث متعدد الأغراض والاتجاهات والمصادر، فالهوية والأصالة مفهوم ذهني قبل أن تكون وجودا محسوما فالهوية ضرب من البؤرة الوهمية التي لا غنى عن الرجوع إليها من أجل تفسير عدد من الأمور، لكن ذلك لا يعني أن لها بحد ذاتها وجودا فعليا (تركي الحمد ، الثقافة العربية في عصر العولمة ، دار الساقي ، لبنان ، السنة 1999 ، ص 89)

و هناك من يتخذ من الأصالة ذلك المفهوم المرتبط بالماضي، مرتكزا و قاعدة و معيارا للتحديث التغيير، فيسعى لتكييف الحاضر بمقتضى ما يراه من ثوابت في الماضي التراثي، و هو يقر قطيعة مطلقة بين ثوابت هذا الماضي، و بين وقائع الحاضر و المعاصر (صالح عبدالسلام الكيلاني ، رسالة ماجستير ، سنة 2007 م)

فـالرجوع إلـى التـراث ودراسـته بطريقـة جديـدة ومتعمقـة بنظـرة تحليليـة لا يجعـل الهويـة ضـد الحداثـة أو مـا بعـدها ولكنهـا أثـرت ومازالـت تثـري رؤيـة العـالم الحديثة.

فكـل عمـل إبـداعي يهـدف إلـى استشـراق المسـتقبل هـو حداثـة ، و إذا أردنـا أن نصـل إلـى العالميـة فلنؤكـد هويتنـا أولا، بـل و نميزهـا بـالفرادة، فالهويـة فـي معناهـا تحمـل مـا يـرتبط بالبيئـة و الثقافـة التـي تفاعلـت مـع الإنسـان علـى هـذا المكـان و لكـن بـوعي بالمـدى الـذي نسـتطيع أن نأخـذه مـن تراثنـا لتأكيـد هويتنـا بلفـة إبداعيـة حديثـة حتـى لا نبتعـد بهـا إلـى معنـى النقـل و التقليـد ذي التـأثير السـلبي و لكـن بـأن نتبـع الإيجابيـات التـي تثبـت جـذورها لتمتـد إلـى أصـولنا الحضارية (زينب على إبراهيم السيد ، ، سنة 1999 ، ص 45)

وتحتل قضية الأصالة والهوية والمعاصرة في مجال التصميم الداخلي موقعا مهما في قلب العصر الحديث وتجليات آفاقها.

أسس واجب مراعاتها لنجاح التصميم:

أولا ـ الأسس المناخية:

تم مراعاة هذا الاعتبار من خلال إعادة صياغة لعلاقة الكتلة بمساحة الأرض المخصصة للبناء، بحيث تمتد هذه الكتلة على كامل المساحة بما فيها الشارع، والاعتماد على فكرة اتجاه المبنى إلى الداخل، وانفتاحه على الأفنية الداخلية، دون اعتبار لفكرة الردود التي تفرضها قوانين المباني المعتمدة كشرط من شروط البناء (التي تتنافى شروطها مع عوامل المناخ السائد في منطقتنا).

وتعتبر فكرة الكتل المتلاصقة معالجة مناخية تقليدية، أصبح الساكن أحوج إليها من ذي قبل بعد الاستغناء عن البناء بمادتي التراب والطين إضافة للحجر، التي يتحقق بها التكييف الطبيعي للفراغات الداخلية، التي تمّ الاستعاضة عنهما بمادة الإسمنت غير الصحية والتي استوجبت بدورها اللجوء إلى استخدام التكييف الصناعي وما ترتب عنه من مخاطر صحية أكبر.

ثانيا ـ الأسس الاجتماعية :

يتفق الاعتباران المناخي والاجتماعي في كثير من المعالجات المعمارية للمسكن، كما يتفقان في تخطيط كامل مرافق المدينة. فتلاصق كتلة المسكن مع حدود قطعة الأرض المقام عليها من جميع الأطراف، إلى جانب الحماية البيئية من العوامل الجوية يوفر أيضا الخصوصية البصرية والسمعية للسكان

ثالثا ـ أسس الهوية الإسلامية والثقافة المحلية :

كثر الجدل حول هذا الاعتبار من ناحيتين:

إحداهما، ترى أن تكرار تلك المفردات والعناصر المعمارية التقليدية وإعادة استخدامها في المساكن المعاصرة يعكس فقرا لدى المعماري في استحداث أفكار لعناصر ومفردات جديدة تتماشى مع روح العصر.

والأخرى، ترى ضرورة التماشي مع كل جديد دون اعتبار لمسألة الهوية الثقافية، وهي دعوة صارخة لعولمة الثقافة بصفة عامة " والعمارة من ضمنها"، انطلاقا من أن العالم أصبح قرية صغيرة، ولا يجب أن تقف مسألة الهوية الثقافية عائقا أمام تواصل المجتمعات مع أحدث المنتجات بغض النظر عن المنشأ أو الملاءمة البيئية أو الثقافية.

العولمة في المسكن التقليدي:

كان من الطبيعي ، أن تكون مجمل الحياة الشرقية ، منجزاته ، ساحة مفتوحة لدخول الأساليب الغربية التي ليس في مجملها لا تتناسب ومتطلبات الذوق والمنفعة المحلية ، وأن بالنهاية الجميع بشر ولهم نفس الحاجات الأساسية التي يحققها لهم المسكن ، هي المأوة ، وهو مكان الراحة ومكان لقاء العائلة والاصدقاء والأقرباء، ومكان تحقيق الحاجات البيولوجية التي لا يمكن ممارستها في سواه ، حتى صارت حياتنا تجد نفسها أمام موجة شاملة لنقل التكنولوجيا لتزين مراكز المدن بأبنية زجاجية ، مرتفعة وشوارع مستقيمة تقسم المدن في كل الجهات . ولذلك فإن التصميم الداخلي شهد تطورات جديدة لم تكن مألوفة غير تقليدية فقد شهد نهاية العقد الخامس وبداية العقد السادس بزوغ فجر جديد في الأفكار المعمارية في العالم ، حيث حفلت بحالات الخروج عن المألوف او التمرد على التقاليد القديمة الرائجة في شتى النواحي الحياة ، ولم تكن ليبيا بهذا الخصوص إلا امتدادا لحالة عامة سادت الساحة العالمية ، فقد بلغت العمارة الحديثة ذروتها في هذه الفترة .

ولذلك فإننا نلاحظ تأثر العمارة الليبية كثيراً بهذا التمرد والحداثة التي ظهرت في العمارة العالمية والعربية أيضاً والتصميم الداخلي فنلاحظ ذلك وخاصة في التصميم السكني ، ومن هذا يمكن ملاحظة الاتجاه الغربي في التخطيط والعمارة والتصميم السكني ، حيث أصبح البيت في ليبيا متوجهاً نحو الخارج بشكل كلي تأكيدا لنزعة التحديث التي سادت في تلك الفترة .

وهنا نجد أن التصميم الغير التقليدي للمسكن قد ابتعد كل البعد عن التقاليد والعادات الاجتماعية المتعارف عليها في المجتمع الليبي والشرقي بصورة عامة وخاصة التي تتعلق بتصميم المسكن العربي باستعارات لتصاميم أجنبية لا تفصح فلسفة المجتمع وتتلاءم مع تقاليده مما أدى إلى ظهور وحدات سكنية لا تتلاءم مع الطبيعة الاجتماعية.

وهذا ما نراه في فضاء الاستقبال غير التقليدي حيث إنه يرتبط مباشرة مع الخارج بواسطة مدخل . بخلاف المسكن التقليدي الذي كان يرتبط مع الفناء الداخلي للمسكن ، حيث ارتبطت هذه الفضاءات بالمدخل بشكل مباشر عن طريق باب يفتح أولاً على حيز الاستقبال الذي ارتبط بحيز الطعام ، لقد جسدت هذه الحيزات الحداثة كفكر تصميمي حيث الارتباط الوظيفي والتبسط والابتعاد عن الزخارف والافاريز والعناصر والمفردات التصميمية التزينية .

وأن المسكن الغير تقليدي قد اختفت فيه كثير من الفضاءات المهمة التي كانت قد استخدمت وبكثرة في تصاميم المسكن التقليدي ، ولم توضع بدائل لهذه الحيزات عند تصميم المسكن غير التقليدي ، فقد اختفت العديد من الوظائف والحيزات الهامة التي كانت ضمن العمارة التقليدية ، بل عجزت عن توفير بدائل لها . فالفناء المفتوح يعتبر قلب الدار، وأفضل مثال للحيز المتعدد الاستعمال، اما في الدور الحديثة، فقد استبدل الفناء بصالة مخصصة للحركة، وهو بالتالي حيز غير مريح نفسيا وجسدياً.

ولقد تميز المسكن الغير تقليدي بمحاولته التقليل من مستويات والعزلة والخصوصية داخل الحيزات الداخلية ، فقد حلت مثلاً منظومات من الستائر المحمولة محل القواطع الثابتة المعتادة متيحة بذلك لقدر كبير من المرونة في تقطيع الحيز الداخلي .

فهي من جانب آخر تسهم في خلق جو وشعور نفسي لدى الساكن بالانفتاح على المسكن وحيزاته المتعددة ، فهو لم يعد يشعر بالعزلة والوحدة التي كانت تعززها الجدران العالية والمتقاربة التي كانت تعزل الساكن عن الساكن الآخر حتى من ناحية سماع الاصوات وطلب المساعدة أو التحادث .

أما الجدران والشبابيك فتلك لم تكن ملونة أو منحوتة بالخشب وكذلك بالنسبة إلى غرف النوم فكانت بسيطة وتراعي أولاً الدور الوظيفي لها قبل الجمالي ، ولقد جاءت المحددات الأساسية لغرف النوم بنفس المفاهيم الفكرية للتصميم حيث مثلت البساطة والوظيفية ، فخلت الجدران والسقوف من أي معالجات واوضح التشكيل المنظوري للسطوح أي شعور حسي جمالي لولا التمايز اللوني أو التعبير المستخدم في الأثاث داخل هذا الحيز ، - أيضاً - مثل الحيز مفهوم الانفتاحية إلى الخارج من خلال فتحات الشبابيك الواسعة التي قللت مستويات العزل والإحساس بالانقطاع عن المحيط في هذا الحيز ولكن الفضاء تمتع بعزل بصري جيد بينه وبين الحيزات الداخلية الاخرى.

أما الحيزات الانتقالية ومنها المدخل فقد حافظت على عامل الخصوصية التي يقوم بها ، فقد بقي غير مباشر محافظاً على خصوصية الحيزات الداخلية على الرغم من ضعف الرابطة بين حيزات المسكن بسبب إلغاء الفضاء الوسطي جعل البيت عبارة عن مجموعة من الفضاءات ترتبط بعلاقة وظيفية.

ومما تقدم نلاحظ أن المسكن غير التقليدي قد تأثر كثيراً بالعمارة الغربية واتخذت العمارة العربية التقليد في نقل الأشكال في العمارة وأن التقليد دفع المجتمع إلى تقمص الحياة الغربية شكلاً لا فكراً ، لأن الشكل هو أول الأشياء القابلة للتغير قبل الفكر .

ومن هذا نجد أن العمارة والتصميم الداخلي للمساكن قد تأثرت تأثرا كبيراً بالحداثة والتطور التكنولوجي والتيارات الغربية التي وصلت لنا، فغيرت كثيرًا من الفضاءات الموجودة في تصميم المسكن التقليدي بصورة خاصة والعمارة بصورة عامة. (http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233035)

الرؤى الجمالية في البيت التقليدي:

أحيانا تفقد الأمل وأنت تبحث في المدن الليبية الحديثة من هنا وهناك عن ملامح جمالية مدروسة، حيث إن القيم الجمالية تكاد تتلاشى من الحيزات السكنية وتذوب في صرعة العصر وموجته التغريبية نحو الحداثة وطلب التقنية ومحاولة اللحاق بالمدنية والتحضر. هذه الهجرة الفجائية السريعة في الحيزات السكنية الحديثة نسيت خلفها تراث ماض عريق حافل بالكنوز التراثية. والتراث المعماري يتصدر قائمة هذه التحف الثمينة بكل المقاييس، ولا شك أن القيم الجمالية التي خلفها ذاك التراث على أطلاله لا تقدر بثمن وتعد من فرائد هذه المنطقة.

الاعتبارات البصرية:

ينحو كثير من الواصفين المعماريين في تذوقهم للعمل المعماري بالاعتماد على الشكل والتأثير البصري. فنتوري أحد رواد العمارة في هذا القرن برز في هذا الاتجاه وأبدع كثيراً حتى أصبح كتابه التعقيد والتناقض في العمارة " Commplexhty and Contradiction in Architecture أحد الكتب النادرة في هذا القرن التي تناقش الجمال المعماري في العمارة المعاصرة الذي نحن في أشد الحاجة لمثله خاصة فيما يتعلق بتطبيقه على البساطة المبتذلة التي انتهجتها عمارتنا المحلية والإقليمية.

ويتميز هذا الكتاب بأنه يركز على دروس بليغة في استلهام التراث المعماري وبالأخص الأشكال التراثية أو ما يسميها فنتوري بالعناصر التاريخية والتقاليد ويدعو إلى توظيفها بشكل فعال في العمارة المعاصرة.

وهو كتاب قيم يعتمد على تحليل الظواهر الجمالية. ولعله أهم كتاب كتب في صنع العمارة منذ كتاب لكوربوزييه نحو عمارة ما ."Vers Une Architecture" ففنتوري يبرز في تحليله العجيب بحيث يجعلنا فعلاً نرى الماضي بمنظار جديد. ولهذا جمع الأسلوب البصري مع المقصد الثقافي الرفيع. ويؤكد أن العمارة الجيدة تستحضر عدة مستويات، ولهذا فنتوري يرى أن العمارة الحديثة انساقت الى البساطة المبتذلة والشكل المستطيل والعزل والاستبعاد-الناجم على والذرمان "بعض أطروحات فنتوري "مجلة

المهندس العدد 34. والناجم على "الفناتير محاولة للإبداع المعماري "نشرة العمران ال عدد20، محرم 1420هـ وفنتوري روبرت "التعقيد والتناقض في العمارة "ترجمة سعاد مهدي، بغداد،1986م)

وهذه من المشاكل المعاصرة التي وفدت إلينا مع مذهب العمارة الحديثة واتجاهاتها. "فقد شجعت العمارة الحديثة العزل والتخصص على كافة المقاييس والأصعدة في المواد والتركيب الإنشائي شأنهما في ذلك شأن برنامج المتطلبات والفضاء...

بالإضافة إلى تخصيص شكل معين إلى مواد وتراكيب إنشائية معينة فإن المعماري الحديث يقوم بعزل العناصر وتحديدها من خلال العناية الفائقة بالتفاصيل، ويشير فنتوري عن تجربته والعمارة الحديثة "في العمارة الحديثة كثيراً ما اضطررنا للعمل تحت القيود التي تفرضها الأشكال المستطيلة المتعنتة والتي يفترض فيها أن تكون نابعة من المتطلبات التقنية للهيكل الإنشائي والجدار الستائري المنتج بالجملة" ومن الأمثلة على معماريين العمارة الحديثة رايت Frank Loyd Wright فكان يموه استثناءاته ويحاول أن يؤكد أفقياته كثيراً.

أما ميس Mies Van der Rohe فقد كان لا يسمح لأي شيء أن يعوق تجانس أجنحته الكاملة دوماً والمؤلفة من النقطة والخط والسطح .حتى فنتوري نفسه وبالرغم من انتقادها العمارة الحديثة إلا أنه كان يقتصر على الجانب البصري كعادة العمارة ما بعد الحديثة فكانوا لا يرون غضاضة في استيعاب العمل المعماري لعناصر وأشكال تاريخية يرى المصمم أهمية إيجادها لإحداث أثر نفسي لدى المتلقي بلاطية ضرورة. العمارة المحلية المعاصرة اتسمت بالواجهات المملة في أصنافها السكنية والشقق والمكتبية والتجارية وغيرها. لقد دب الشكل الموحد الخارجي-وأحياناً المنتج بالجملة Mass Productioإلى المساكن حتى وكأن العلم المعماري قد انحسر، بل وكأن الساكن أو المستخدم ربوت مكرر.

وإذا تناسيت الوحدات السكنية -افتراضاً -فاجأتك المباني المكتبية في ابتذالها وبساطتها المتناهية في اختفاء هيكلها وهيمنة قشرتها الزجاجية وقد خلت من أي معنى. لكنك إذا تحولت إلى الدار التقليدية هالتك التراكمات الجمالية وخاصة المعاني البصرية، حتى تأسر عينك فتقف أمام عظمتها مشدوهاً منبهراً أمام ما تراه من إبداع. يرى فنتوري أن الغموض والتوتر موجودان في كل مكان في عمارة التعقيد والتناقض فالعمارة مظهر وجوهر واقعية ومجردة .. هذه العلاقات المتذبذبة المعقدة والمتناقضة هي مصدر الغموض والتوتر المميزين لوسائل التعبير المعماري ثم تحلق بك هذه الفتحات في تناغم ممتع عبر الايقاع الذي تسلكه.

ومع ذلك لا يستمر الإيقاع حتى لا يشعرك بالملل فسرعان ما تفاجأ بالمجاورات الكبيرة Super Adjacency كما يسميها فنتوري. تحطم هذا الإيقاع وتوقظك إلى إحساس جديد إلى لوحة جميلة. يرى فنتوري أنه يمكن إغناء المعنى عن طريق تحطيم النظام . لعلنا في حاجة ماسة لأطروحات المعماري الفذ فنتوري لإعادة صياغة عمارتنا النشاز. العمارة المحلية التي تعاني من انفصام الشخصية.

فلم تستطع التكيف وعمارة الغرب الوافدة وحافظت على قيم أصالتها المعمارية. نحتاج ذلك بإسقاط مدروس للنظرية من خلال معطيات التراث. ولا يعني ذلك إبقاء قيد الشكل بقدر ما يعني الانطلاق إلى ما هو أوسع إلى القواعد والمبادئ التقليدية. الحاجة ماسة لإعادة التشكيل بين المفتوح والمغلق والمستوي والمجوف والخشن والأملس والداخل والخارج مع بعض الاقتحامات حتى تنتج لنا عمارة ذات طابع بصر ي مريح جميل.

الاعتبارات الإجتماعية :

إذا كانت نظرية فنتوري في العمارة بصرية صرفه تقريباً وتحاور المعاني الجمالية من خلال الشكل فقط، فإن العمارة التقليدية الليبية احتوت مضامين ومعاني أخرى تتعلق بالناحية الوظيفية.

وقد نحى بعض علماء الجمال الى استقلالية المعنى البصري واستقلالية الجمال، فيعتبر بعض العلماء أن الجمال مقطوع الصلة عن أية فائدة ولا وظيفة تتبعه " يعتبر (كانت) : (أن الجمال هو ذلك الذي يكون ممتعا بالضرورة، وهذه المتعة تنبعث من نفوسنا ونحن نُدرك أن هذا الجمال مقطوع الصلة بأية فائدة مهما كانت)، وجاء بعد كانت (شلر Schillerليقول) : أن العمل الفني لون من ألوان النشاط التلقائي الخالي من الغرض)". يقول الكاتب المعماري الأمريكي (البرت بوش- بروان) في كتابه (فن العمارة الأمريكية) :أن الفن المحلي هو عبارة عن مسلمات جمالية ارتضاها المجتمع لنفسه, فأوجد مفردات خاصة به تنبع من متطلباته و تعبر عن احتياجاته ضمن قدراته المالية . والجمال في العمارة الإسلامية هو عبارة عن تحقيق وظائف ومتطلبات اجتماعية ضمن الإطار التشريعي (الديني)، أو يمكن القول بأن الجمال في العمارة الإسلامية ذو هدف. لقد ذكر المعماري (سوليفان) معماري أمريكي) مقولة مشهورة "الشكل يتبع الوظيفة " كقاعدة للعمارة الحديثة، وأن كنت أعتقد أن العمارة الإسلامية قد سبقت (سوليفان) في هذا التعريف منذ زمن ".

فالعمارة الليبية تعكس كثيراً قيم المجتمع الاجتماعية. تلك العمارة تقرأ فيها قصة أولئك الناس المحافظين على مبادئهم وتعاليم دينهم. عمارة أملى

المجتمع عليها احتياجاته وأملت عليه إمكاناتها. البيئة التقليدية منغلقة عن الخارج مفتوحة على الداخل باتساع كبير .Introverted فجاءت المعالجات المعمارية للبيوت التقليدية عاكسة لهذه المعاني الاجتماعية.

وبذلك تضيف معنى جميل إلى الناحية البصرية. فالشكل يحتوي مضمون عميق غني. فلم تستقل الصورة البصرية عن المضمون الوظيفي لها.

يقول صالح الهذلول أحد منظري المدخل الشرعي لمفهوم المدينة الإسلامية في المملكة العربية السعودية " ليس بغريب ان يدخل مبدأ تحقيق الخصوصية والحفاظ على حرمة الحياه الأسرية في صلب اختصاصات الفقهاء، فكشف ما لا يمكن للسابل في الطريق رؤيته يعد تطفلا وانتهاكا لحرمة خصوصية الحياه الأسرية ممالا يحتمله السكان ولا يقره الفقهاء ويعتبر الاطلاع والكشف أذى وضررا يجب تحاشيه أو إزالته ومنعه إذا وقع ..(ويستطرد صالح الهذلول :) "وقد تمثل الاهتمام بتحقيق الخصوصية الذاتية وحماية السكان في منازلهم من الكشف والاطلاع في التكوين العمراني للمدينة العربية الإسلامية بعدة طرق منها تحديد ارتفاعات البناء في المدينة وتفادى الفتحات والنوافذ في الجدران المطلة على الشوارع أو معالجتها بأساليب معماريه خاصه " (-الهذلول صالح" ص 24، سنة 1994م.)

إلا أننا في مقابل هذه المفاهيم يقف بنا الزمن على عمارة معاصرة نتاجها سمته السطحية والخواء النظري والتقليد الفكري. ومن ذلك انكشاف الداخل للخارج، لتتلاشى معه مبادئ ضربت جذورها بعيداً في الأرض ونحتت لها سمات في المكان. نحن بهذا السلوك نهدم جداراً ثقافياً ظل قائما قروناً مديدة يخاطب الزائرين ويروي لهم تاريخ المجتمع. إن القيم الاجتماعية من أهم الأمور التي تستدعي العناية بها في العمارة المعاصرة لأنها لا تضيف رسالة جمالية ولا تكون طابع بصري فقط وإنما هي طريق إلى رضى المجتمع أو المستخدم للبيئة Transformation of the Site . تلميذ الدكتور هابراكن ، مؤلف كتاب Crisis in the Built Environment يرى أنه إذا تمتع الساكن بحرية التصرف فستكون هذه الحرية حافزاً له لتغيير بيئته ولهذا سيكتشف الفريق إمكانيات كامنة في البيئة ويطوع بالتالي تلك البيئة لتلبي رغباته.

الاعتبارات البيئية:

تراث ليبيا العمراني يعكس قدرة الآباء والأجداد على التعامل مع العوامل البيئية القاسية من خلال أساليب تخطيطية وتفاصيل معمارية طوعت لخدمة المنطقة وأعطت لعمارتها المميزات في التكوين والتفاصيل وجعلتها متميزة في مناطق العالم العربي. فعولجت الحجوم التي تأوي تلك الوظائف مؤكدة على كفاءة النظم المعمارية في التشكيل المعماري وتهيئة الأجواء المناخية المناسبة.

تلك النظم المعمارية وتلك المجتمعات التقليدية ماذا يعني استمرارها طيلة قرون عديدة " إن بقاء واستمرارية المجتمعات التقليدية عبر مئات وآلاف السنين لهو دليل على امتلاكها قدرا من المعرفة ممكن أن يكون مفيدا بذاته أو باتخاذه أساسا لتطورات جديده". فهذه النظم تتميز بميزة عجيبة عالجت مشكلة معمارية معاصرة معقده كثيرا وهي المواءمة بين البناء بعطاءه وتطلعاته التكنولوجية والعصرية وبين توفير مناخ داخلي على مستوى عالي من الراحة من خلال عناصره، مع إضفاء جمال أخاذ وذوق رفيع " لقد أدت الخبرات التي تراكمت عبر آلاف السنين إلى تطوير لأنماط بناء قليلة التكاليف توظف فيها المواد المتوفرة محليا والقدرة على تهيئة المناخ الملائم باستخدام الطاقة التي توفرها البنية الطبيعية المحلية، وتنظيم لفراغات المعيشة والعمل بحيث تتوافقان والمتطلبات الاجتماعية. وكانت هذه العمارة على درجة عالية من التعبير الفني بل لم يحدث أن قلت العناية بالمظهر الجمالي عنها بالجانب الوظيفي .

وقد اعتمد الساكن في هذه المجتمعات قبل حلول العصر الصناعي على المصادر الطبيعية للطاقة والمواد المحلية المتوفرة في موطنه تبعا لحاجاته الفسيولوجية. وتعلم الناس في كل مكان وبمرور عدة قرون، كيفية التعامل مع المناخ الذي يوفر لهم المناخ المحلي الذي يرغبون فيه. هذا الإرث الكبير يمكن أن ننطلق منه إلى إنجاز فريد. فكما يرى المعماري راسم بدران، يمكن أن ننطلق منه إلى منشأ يعبر عن قدرة تكيف مع العوامل المناخية من خلال عناصر تكوينية التي قيمت الماضي واحترمت إبداعه وسخرت لخدمة التكنولوجيا الحديثة بكفاءة عالية متفادية الابتذال والتقليد الأعمى للأشكال التي جمعت وكأنها قطع أثرية تحفظ في

المتحف وللإنسان رؤيتها فقط وليس التعايش مع أدائها، ننظر إلى هذا التراث كباعث لتطوير مفاهيم وقيم اجتماعية وتخطيطية تساهم في إثراء حضارة المنطقة وإبراز خصوصيتها وربما مساهمتها في إثراء الفكر الإنساني العالمي".

فالحيزات السكنية الليبية احتوت على كثير من المعاني التي تهز أوتار القلب من حسنها. فلم تقف الرسالة الجمالية على البعد البصري والحاجة الاجتماعية بل واستوعبت النواحي البيئية.

المشربيات في العمارة التقليدية المعاصرة (عين الزرزور):

العمارة الإسلامية زاخرة بالفنون التي اتسمت بالذوق والإحساس، وبالتوازن ما بين الغايات المعمارية والبيئية والدينية والاجتماعية والاقتصادية بل والجمالية أيضا، وهي من فنون العمارة الإسلامية التي نقف أمامها حائرين مستمتعين بكل تفصيلية من تفاصيلها. المشربيات، وقد لفت انتباه المستشرقين والكثير من الرحالة الذين وفدوا على البلاد الإسلامية وخاصة مصر، فقد ظهرت لوحات عديدة مرسومة للمشربيات في كتاب وصف مصر ورسمها الكثير من الفنانين في لوحاتهم أمثال (بيرس دافن وديفيد روبرتس). كما ذكرها إدوارد وليم لين في كتابه فقال: (أما الغرف العلوية فنوافذها تبرز بمقدار قدم ونصف وأكثر، وأغلبها مصنوع من الخشب المخروط المشبك).

والمقصود بالمشربية ذلك الجزء البارز عن حوائط جدران المباني التي تطل على الشارع أو على الفناء الأوسط للمنازل الإسلامية، ويستند هذا الجزء البارز إلى (كوابيل) و(مدادات) من الحجر أو الخشب تربط الجزء البارز من المبنى، بينما تغطى الجوانب الرأسية الثلاثة لهذا الجزء البارز بحشوات من الخشب الخرط المكوّن من (برامق) مخروطية الشكل، دقيقة الصنع تجمع بطريقة فنية بحيث ينتج عن تجميعها أشكال زخرفية هندسية ونباتية أو كتابات عربية.

و تعود المشربيات إلى ما قبل القرن السادس الهجري (11م) ، واشتهرت في مصر لبراعتها وتفردها في النجارة الإسلامية والمشغولات الخشبية ، لا سيما الأعمال التي استخدمت فيها أخشاب الخرط الدقيقة الصنع، وأضاف النجار المصري عليها الطابع الإسلامي ، حتى وصل قمة روعته خلال العصر العثماني .

ومن أجمل النماذج للمشربيات تلك التي نجدها في منزل زينب خاتون وقصر المسافر خانة والهراوي وبعض المنازل القديمة بالقاهرة ورشيد وفوه، وكذلك في المتحف الإسلامي.

أصل التسمية:

إن كلمة مشربية محرَّفة من مشربة، بمعنى الغرفة العالية أو المكان الذي يُشرب منه؛ حيث كان يوضع في خارجات صغيرة بها أواني الشرب الفخارية لتبريد المياه بداخلها، وربما يؤكد ذلك حِرْصَ الصنَّاع على وجود موضع بأرضية المشربية، وقيل إن المشربية تحريف ظاهر لكلمة (مشرفية)، أي: التي تُشرف منها النساء على الطريق، أو لكونها طاقةً خارجةً تشرف على الطريق، وهناك رأي ثالث يرَى أنها سُمِّيت بالمشربية لصناعتها من

(شكل 187) يوضح المشربية (1)

(1) – http://vb.alshella.com\t42201.html

خشب يُعرف بالمشرب، وهو نوع من الخشب الجيِّد يتميَّز بصلابته وتحمله لحرارة الشمس والعوامل الجوية، ثم اتسع مدلول هذا المسمَّى ليشمل كل الأجنحة الخشبية المنفّذة بطريقة الخرط والتي كانت تغشى بها النوافذ . كما عرفت المشربية أيضا في باقي الدول الإسلامية باسم الروشان أو الروشن وهي تعريب للكلمة الفارسية (روزن) والتي تعني الكوة أو النافذة أو الشرفة (شكل 188) .

(أ) (ب)

(شكل 188) يوضح أشكال مختلفة من المشربيات على النوافذ [1]

– http://vb.alshella.com\t42201.html

فوائدها ومزاياها:

إن الصانع المسلم حين عكف على عمل المشربية وضع أمام دينه الإسلامي وتقاليده ومجتمعه، فجاءت وظيفة المشربية الأولى وهي الحفاظ على الخصوصية للأسرة المسلمة، فهي عبارة عن سواتر تحمي الأسرة من عيون المارة والغرباء والجيران، ولا يستطيع المارة رؤية ما وراء المشربيات لاختلاف كميات الضوء داخل

المشربية عن خارجها، كما أن المشربيات الداخلية المطلة على فناء البيت تفصل الضيوف والغرباء عن باقي أفراد الأسرة.

وابتكار المشربيات ساهم في حل مشكلات عديدة من مشاكل العمارة وهي مشاكل التهوية والإضاءة والرطوبة، فالمشربية عالجت مشكلة المناخ الحار في البلاد العربية، فقد عملت على تلطيف حدة الضوء وانزلاق الهواء على سطحها مما يجعلها تعطي تهوية رائعة للمكان الذي تحتويه، فهي تقلل نسبة الأشعة المارة من خلالها وتكسرها وتعمل على التحكم في مرور الضوء، وذلك باختلاف فراغات المشربية في الأجزاء السفلية والأجزاء العليا.

حيث نجدها ضيقةً في الأجزاء السفلية من المشربية ومتسعةً في الأجزاء العلوية، كما أن بروز المشربية عن مستوى الحائط يُتيح لها التعرضَ لتيارات الهواء الموازية لواجهة المنزل؛ كما تم التحكم في درجة الرطوبة الداخلة للمنزل، وذلك يرجع لطبيعة المادة المصنعة منها وهي الخشب، فكما هو معروف أن الخشب مادة مسامية طبيعية مكونة من ألياف عضوية تمتص الماء وتحتفظ به مع مراعاة عدم طلائها بمادة قد تسد هذه المسام، وقد تزود المشربيات بضلف مصمتة من الخشب أو الزجاج لاتقاء برد الشتاء. فاستطاع سكان الأمس التحكم في شدة الضوء والهواء والرطوبة من خلال المشربيات قبل ظهور الكثير من الاختراعات.

وفن المشربيات فن اقتصادي للغاية، فطريقة الخرط نفسها تقوم على توظيف القطع الصغيرة من الخشب وذلك بخرطها وتجميعها فيتم الاستفادة بقطع الخشب مهما كان صغرها، وهذا يتماشى مع الحالة الاقتصادية للبلاد الإسلامية فهي تفتقر للأنواع الجيدة من الخشب فتستورده من الخارج فمهما تبقى من خشب الأسقف والأبواب والنوافذ وغيرها من وحدات البناء يستغلها الصانع الماهر في تصنيع المشربية ، و استخدمت المشربية في الماضي و الحاضر ، في البيوت (الشعبية) و البيوت (الراقية) الأرستوقراطية

(شكل 189) .

(أ)

(ب)

(شكل 189) يوضح استخدام المشربيات في مختلف طرز البيوت (قديمة – معاصرة) [1]

(1) – http://vb.alshella.com\t42201.html

وبجانب الناحية المعمارية والدينية والبيئية والاقتصادية حافظ الصانع على القيم الجمالية بل وجد فيها مجالاً خصباً لإبراز قدراته الهندسية والفنية والزخرفية، خاصة في مصر، فالمشربيات كانت من الروعة والجمال بحيث تعد تحفًا قيمة شاهدة على مهارة واحساس الصانع الماهر، فاكتسبت واجهات المنازل جمالاً أضفى عليها عظمة وفخامة وحيوية، فهذه مشربية تزخر بكثير من الزخارف النباتية

والهندسية وأخرى عليها رسومات لبعض الطيور، وتلك عليها بعض الكتابات مثل (الله، بسم الله الرحمن الرحيم)، وبعض المشربيات ظهرت فيها مهارة الخرط الدقيقة على هيئة مكعبات أو كرات أو مستطيلات أو مربعات دقيقة الصنع تتخللها أخشاب على هيئة أعواد إما أفقية أو رأسية أو مائلة.

ظهرت المشربيات أيضا في كل من العمارة الحجازية في المدينة المنورة ومكة المكرمة وجدة وينبع، وظهرت في اليمن لكن مصنوعة من الحجر وظهرت في فلسطين خاصة القدس وفي بعض دول الخليج مثل البحرين، وظهرت بشكل أقل إتقانا وبساطة في المغرب ولبنان والسودان.

العمارة الداخلية للحيزات السكنية المعاصرة في ليبيا :

يشكل التراث العمراني والمعماري لمدننا أحد أهم مواضيع السجال الذي يدور في إطار اشكالية العلاقة بين التراث والمعاصرة، وبين الهوية المحلية والحداثة العولمة. ويتطلب البحث في جماليات العمارة وشخصيتها الخاصة أيضا عوامل وأسباب أخرى. فالتطرق الى جماليات العمارة والبيئة الاصطناعية وعلاقتهما بالمجتمع تبدو ضرورية اليوم امام هذا الكم الهائل من الانتاج المعماري والتوسع العمراني الاصطناعي السريع، بشقيه الحضري والريفي. ولإغناء الموضوع، وتسليط الضوء على الكثير من مسائله واشكالاته ذات الطابع الثقافي ـ المعرفي الجمالي وبالتالي الاجتماعي، لابد من التذكير من جديد ببعض مفاهيمه واشكاليات دراسته. وان تكررت بعض جوانب السجال فهي ضرورية لأن الثقافة العربية تفتقر الى جانب تخصصي هام وهو ما يمكن تسميته بالمعرفة المعمارية والعمرانية. فالوعي العمراني المديني والثقافة المعمارية فقيرة ومتوارثة في مجتمعاتنا. وهذا يعود الى عاملين رئيسين، الأول هو انشغال أهل المهنة (المهندسون المعماريون والإنشائيون) بالعمل اليومي الروتيني والسير خلف لقمة العيش وملئ أوقات الفراغ ـ إن وجدت ـ بلعب الورق في أندية "نقابات المهندسين"، أما العامل الثاني فهو مرتبط بمعالجة موضوع العمارة وجمالياتها من قبل بعض

المهتمين من غير المختصين وذلك لملىء عدد من الصفحات "الثقافية والفنية" لبعض الصحف والمجلات. وغالباً ما يكون هذا التناول غير التخصصي شكليا يفتقر إلى سعة الاطلاع ولا يرتكز إلى أساس علمي، وفي أحسن الأحوال يكون التناول شاعرياً وعاطفياً. وقبل كل ذلك نعاني جميعا من قلة المعلومات التاريخية وضحالة المعرفة التاريخية بالتراث العمراني وعلاقته الجدلية مع المجتمع، فضلا عن قلة الاطلاع على الفكر المعماري العالمي بتنوعه وتشعب مدارسه.

وفي المحصلة تم تناول مواضيع التراث والمعاصرة والحداثة في مجال العمارة والعمران تناولا لا يرتكز على العلم والمعرفة بقدر ما يستمد أدواته من العاطفة والايديولوجيا، وتم دفع الموضوع باتجاه حصره ضمن مسألة الهوية الثقافية وحمايتها.

وبناءً على ما سبق يبدو لنا أن اثارة هذا الموضوع الذي يمس الجميع، ويعنيهم حياتيا وثقافيا، هي في الوقت نفسه فرصة للتذكير بحقل معرفي في غاية الأهمية، حقل ملاصق لحياتنا المعاشية ومؤطر له فيزيائيا. ومؤهل للقيام بصقل حسنا الجمالي والتأثير فيه. كما أن موضوع البيئة الاصطناعية بخطوطها الأساسية يستحق المزيد من الراي والسجال وبالتالي النقد، لأن هذه البيئة العمرانية التي ينتجها الانسان تقوم باحتضانه والتأثير فيه بشكل مستمر، وهذه البيئة تتسع لتطغى على البيئة الطبيعية.

أول ما نعانيه في حقل المعرفة الجمالية بالعمارة والمشيدات المدنية الأخرى هو الالتباس الحاصل بين ما هو تراث فني من مباني تاريخية شيدت بطرائق فنية بأيدي حرفيين مهرة على أسس عملية وبطرائق الإنشاء الحرفي ـ التقليدي، وبين العمارة الحديثة كمنتج صنعي، شيدت أجزاءه ومفرداته على أساس علمي ـ فيزيائي. ان تطور علوم البناء دفعت بالعمارة إلى التحول التدريجي والتفاعل والتلاقح مع علوم الإنشاء والتشييد المستنتجة من خلاصات علوم الميكانيكا ومقاومة المواد وخواصها.

إن إشكالية العلاقة القيمية بين التراث المعماري والعمارة المعاصرة مازالت كبيرة ولم تفكك وتقيم هذه العلاقة بشكل موضوعي بعد، ومازال الموضوع بحاجة إلى حسن إدارة ومعالجة موضوعية تاريخية.

فالعمارة بوصفها منتج بصري وفراغي يؤثر على مجموع المشاهدين والمتلقين بقوة، وتحرض أشكاله على توليد الكثير من ردود الفعل الناتجة من تصادم القيم والمعايير الجمالية.

لذلك برزت تيارات تدعو إلى الحداثة وتلقي النموذج الصناعي الأوروبي للعمارة في مواجهة تيار آخر يعاكسه عن طريق التمسك بالتراث المعماري المحلي والتشبث بحرفيته ، لدرجة أن اعتبرت العمارة الحديثة غزوا واستمرارا لتيارات فكرية ومدارس غازية وفي حالات مؤامرة!

وان كان الترابط والعلاقة بين العمارة والمدارس الفكرية ـ الفنية التي ظهرت في الغرب الرأسمالي ليست مباشرة, ولم تكن بالصورة التي روجت لها نظرياً. اذ كانت حالات التفاعل والتطبيق العملي على نطاق ضيق نسبياً، وليس حالة ونموذج لوكوربوزية والحركة التكعيبية إلا صدفة تاريخية، ساهمت في نجاحها الواقعي جملة من العوامل والمحفزات العملية. لقد كانت استثناء وليست قاعدة. وبالتالي ليس كل بناء حديث هو نتاج تنظير ومن ثمار الحركات الفكرية والسياسية الغربية.

فمن الخطأ اعتبار التطورات التي طرأت على العمارة العالمية والتي تجسدت أكثر في الأشكال والمدارس الغربية، انتاجاً فظا للرأسمالية واللا هوية كما يدعي بعض المعماريين، فقد نبتعد بالتمسك بهذا الرأي عن الموضوعية والرؤية العلمية. لأن ما حدث من التطور العام للعمارة الغربية هو خلاصة التطور العلمي العالمي، وحصيلة التراكم في الخبرات من علوم: البناء، مقاومة المواد، الميكانيكا، نظريات المرونة، الخرسانة، تكنولوجية التعدين، وكذلك تطور صناعة الزجاج والسيراميك. وهي بالتالي استجابة لبعض نظريات العمارة المتفاعلة مع خصائص وإن كانت هذه المواد الحديثة.

فنمط البناء العمودي ارتبط عضوياً بتطور وتوسع المدن الصناعية، والتمركز الشديد للحياة المدنية، بالترابط مع تشكل الطبقة العاملة والعائلات

الصغيرة العدد. كما كان للدور الصحي وزيادة السكان في المدن، ولضيق مساحة أراضي البناء تأثيرا كبير على بروز واستمرار العمارة البرجية.
من جهة أخرى نجد أن حركة البناء والعمران تتصاعد في أغلب البلدان النامية عمرانيا حسب معايير وتصاميم حديثة ومقتبسة تماما.
فالاتجاه الحديث يخطأ عندما يصر على نقل حصيلة تطور عدة قرون من الغرب مباشرةً الى مدننا وتقليد العمارة الغربية دون الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف في المناخ ونوعية مواد البناء والتطور الاجتماعي – الاقتصادي في مجتمعاتنا، إضافة الى الوعي المديني والثقافي الأولي. فهذا الاتجاه الحديث المتحمس للأشكال الغربية والذي يعتمد استنساخ العمارة الغربية ونقلها يمكن تصنيفه موضوعيا ضمن خانة التقليد والتبعية وربما الجهل.
وعلى أية حال فثمة اختلافات جوهرية بين المهتمين والمنظرين المعماريين في فهم المسألة الجمالية للعمارة المعاصرة ودرجة تصادمها القيمي مع التراث المعماري المحلي، أو استمداد مواصفاتها وجمالياتها من المعايير العالمية السائدة.
وعلى الأرجح سينال الرأي المتمسك بالأبداع المحلي الاحترام والتأييد، فلا يمكن للحداثة المنسجمة إلا أن تكون جميلة، ولا يمكن لها إلا أن تكون منتمية في الوقت نفسه، لأنها ثمرة لتطور المجتمعات البشرية ولديالكتيك تجدد بعدها الحضاري لمواكبة متطلبات العصر والانتماء إلى الزمن الحقيقي، وعدم الانصياع للحنين الماضوي. فالحداثة العمرانية والمعمارية لابد لها أن تكون وليدة المكان وابنة الثقافة المحلية وبالتالي ستكون متداخلة ومتفاعلة مع التراث المعماري المحلي ومنبثقة عن روحه.
وعلى المنحى الآخر يبدو أن النقل المباشر والسريع لنماذج الأبنية الحديثة وزرعها داخل نسيج مدن الشرق وعمارتها الهادئة الرصينة، تخلق انطباعات وأحاسيس تكون أقرب الى النفور والتصادم والدهشة والانسجام، منها إلى القبول والتفاعل والارتياح.
إن نقل حصيلة تطور عدة قرون وتكثيفه بعدة سنوات وغرسها في جسد مدننا التي عانت من قطيعة تاريخية وتجمد في أوصالها الحضرية – العمرانية، لها انعكاسات نفسية واجتماعية وخدمية غير ملائمة.

الخلاصة:

ولكن لا بد من التهيؤ والعمل لتطوير عمراننا على أسس إبداعية. وينبغي لذلك أولا فصل موضوع المدن القديمة وحماية تراثها المعماري عن عملية الإنتاج المعماري المعاصر وبناء مدن جديدة ذات سمات وخصائص إبداعية، وبهوية منتمية إلى البيئتين الطبيعية والاجتماعية، هوية لا تستنسخ تجارب الآخرين ولا تعتمد على التراث بشكل كبير. فالصراع والاحتكاك بين ما هو قديم وتراثي وما هو جديد، جاري منذ أمد بعيد وقد حسمت بصورة دراماتيكية لصالح الحديث خاصة في مجالات الأزياء والآليات وغيرها من مناحي الحياة المعاصرة...

فلماذا تم القبول بالسيارة وهي بصيغة ما "عمارة متحركة"، ولماذا حسمت معركة الحداثة لصالح التحديث والتغريب في مجال الأزياء. ألم تدر يوماً ما معركة طاحنة في الشرق بسبب غزو النمط الغربي للثياب لمعاقل عماماتنا وطرابيشنا الشرقية، والتي تعتبر بصيغة ما "عمارة صغيرة" ملتصقة بجسم الإنسان، فثمة روابط جنينية وأنتروبولوجية بين العمارة والرداء.

ويستحسن أن نحيل موضوع العلاقة بين التراث والمعاصرة إلى العلاقة بين التقليد والإبداع والابتكار، فالإبداع سمة كل مرحلة والدعوة للتمسك بالهوية ينبغي أن تكون دعوة ذات محتوى ابداعي. بما معناه ان ننتج عمارة معاصرة منسجمة مع واقعنا، وتساهم في إغناء تجارب العالم.

فليس السلف الصالح وحده كان قادرا على إبداع عمارة جمليه وأصيلة ومنتمية إلى المكان. ولا يجوز الحكم بالجمود والتبعية على المهندس المعاصر، فباب الابداع في العمارة والعمران مازال مشرعا، ولابد من الاجتهاد والا حكمنا على واقعنا الفني المعماري ـ العمراني بالموت، وأسلمنا بأن التاريخ قد توقف ابداعيا على الأقل، عند بوابة هذه القلعة أو ذاك القصر التاريخي.

المراجع :

(1) تركي الحمد ، الثقافة العربية في عصر العولمة ، دار الساقي ، لبنان ، السنة 1999 ، ص 89
(2) – صالح عبدالسلام الكيلاني ، التصوير الليبي المعاصر و مدى استلهامه للموروث الشعبي ، جامعة الفاتح ، كلية الفنون و الإعلام ، رسالة ماجستير ، سنة 2007 م .
(3) – زينب على إبراهيم السيد ، التربية الفنية بين الهوية و العولمة ، الحركة التشكيلية المصرية الحاضر و المستقبل ، مؤتمر نقابة الفنانين التشكيليين ، القاهرة ، سنة 1999 ، ص 45 .
(4) -الناجم على والذرمان "بعض أطروحات فنتوري "مجلة المهندس العدد 34. والناجم على "الفناتير محاولة للإبداع المعماري "نشرة العمران ال عدد20، محرم 1420هـ
وفنتوري روبرت "التعقيد والتناقض في العمارة "ترجمة سعاد مهدي، بغداد،1986م
(5) -الهذلول صالح" "المدينة العربية الإسلامية" ص 24، سنة 1994م.
(1) – http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233035
- http://vb.alshella.com\t42201.html
(2)